مرصد السياسات الاجتماعية والاقتصادية
Social and Economic Policies Monitor (Al Marsad)

"مهن البقاء"

كيف حافظ الفلسطينيون على بقائهم خلال حرب الإبادة؟

رامي وليد الزايغ

"مهن البقاء"

كيف حافظ الفلسطينيون على بقائهم خلال حرب الإبادة؟

إعداد رامي وليد الزايغ

5 شارع السهل، رام الله – فلسطين
هاتف: 02 – 2955065

البريد الالكتروني:
almarsad@almarsad.ps
الموقع
الالكتروني:www.almarsad.ps

جميع الحقوق محفوظة ©
مرصد السياسات الاجتماعية والاقتصادية
كانون الثاني 2025

فهرس المحتويات

مقدمة..5
الحطّاب..7
بائعو الأكياس الفارغة...9
مهن المساعدات 10
مساعدات النابلسي والكويتي...10
مساعدات الطائرات..10
عصابات سرقة المساعدات..12
تسجيل المساعدات 12
عمال تفريغ المساعدات وتوزيعها وتسليمها...13
عمال التكايا..15
صيانة الدراجات الهوائية واصلاحها..16
صانع المراحيض...17
صيانة البوابير...20
بائعوا المياه المثلجة والعصائر الباردة..22
بائعوا الثلج..22
باعة المرق...23
الوقوف في الطوابير...25
وقيفة المخابز..25
وقيفة مراكز توزيع المساعدات...27
نقاط الشحن..28
تحميل الافلام والمسلسلات..29
نقاط الانترنت..29
نقاط بيع انترنت الشرائح الالكترونية..29
تنظيف العملة..30
عمولات التكييش...30

مهن الأحذية..31
اصلاح الاحذية القديمة...31
شراء الاحذية المستعملة وبيعها...32
تصنيع الأحذية...33
بيع الملابس المستعملة...33
الطحان...34
الخباز...35
بائعوا حلويات الحرب: العوامة والحلب والسمسم...37
بائع البذور والأشتال الزراعية..37
الزراعة الذاتية والمنزلية..38
جمع البلاستيك والاقمشة البالية...39
بائعوا المحروقات الصناعية...40
تعبئة غاز مثبت الشعر 41
صيانة القداحات..42
وكلاء التجار...42
صانع الخيام..43
صانعوا مواقد الطبخ...43
المواصلات العمومية..45
نقل النازحين...46
تسخين المياه...46
لف العجلة..46
بسطات النيكوتين..48
بيع اكياس التغليف والتبكيت..49
لحام البراميل...49
النجار العربي التقليدي..50
بيع ادوات منزلية...51
خاتمة..52

المقدمة

في إطار حرب الإبادة التي تشنها إسرائيل على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة،وقيامها بتدمير كل مقومات الحياة وسبلها في القطاع، وإعادة الفلسطينيين فيه عشرات السنين إلى الوراء، ما أدى وفقاً لمنظمة العمل الدولية إلى تراجع الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 85%،وارتفاع نسبة البطالة إلى 80%، إضافة إلى أنَّ 100% من سكان قطاع غزة يعيشون تحت خط الفقر، أجبر المواطن الفلسطيني، كعادته، على الكفاح من أجل البقاء باستخدام شتى الوسائل والأساليب.

في سياق ذلك، نشأ في قطاع غزة ما يُعرف بـ"اقتصاد البقاء"، الذي يعتبر سمة أساسية من سمات اقتصاد قطاع غزة خلال الحرب.

يستعرض الكاتب في ورقتين أهم مكونين من مكونات اقتصاد البقاء، وهما مجموعة المهن والأعمال التي مارسها الفلسطينيون في قطاع غزة، إضافة إلى مجموعة المأكولات البديلة التي تم اللجوء إليها في ظل حرب التجويع التي مورست ضدهم من قبل إسرائيل، وقد كان الهدف منهما البقاء على قيد الحياة.

لقد قام الفلسطينيون بممارسة مجموعة من المهن والصناعات البدائية والبسيطة، القديمة والمستحدثة، وهذه المهن ليست مهنهم الأصلية، وهم ليسوا ذوي خبرة في بعض ما مارسوه، بل اضطروا إليها اضطراراً، وما أفرزها هو الحرب وتبعاتها.

نشأت هذه المهن والأعمال من واقع العَوز والحاجة المُلِحّة، وبرزت "كاستثناء" طارئ في حياة الفلسطيني، إلا أنَّ طول مدة الحرب أدى إلى تطور بعضها، ومن المتوقع أن تستمر إلى أن تزوال الظروف المسبِّبة لها، وعودة قطاع غزة إلى حالة الاستقرار والتعافي.

لم تقتصر ممارسة هذه المهن على فئة معينة من المجتمع، بل مارسها معظم أفراد المجتمع من رجال ونساء، وأطفال قاصرين وبالغين، ومن شتى الأعمار والفئات؛ مثل الطلاب، والخريجين،وأصحاب الشهادات الدنيا والعليا، والفنيين، والعمال، وأصحاب الأعمال ... إلخ.

تركز الورقة على توثيق أهم المهن التي مارسها الفلسطينيون خلال الحرب، ولا تشتمل على كلا لمهن التي مُورِسَت خلال الحرب، إنما على المهن التي أفرزتها أو أحيتها الحرب بعد اندثار طويل،وشكّلت شاهداً من شواهدها.

تجيب، أيضاً، عن الأسئلة التالية: كيف نجا الفلسطينيون من حرب الإبادة؟ كيف تعايش الفلسطيني مع ظروف الحرب؟ كيف وفّر مصدر رزقه؟ كيف أعال أسرته؟ وكيف ساهمت هذه المهن في تكوين الحالة الاقتصادية التي نشأت في قطاع غزة خلال الحرب؟

تستند الورقة إلى مشاهدات الباحث، وما وثقه وتابعه وعايشه خلال الحرب، إضافة إلى ما أجراه من مقابلات مع أصحاب المهن؛ سواء مع الباعة أو الصُنَّاع أو المواطنين الذين استفادوا من هذها لمهن، خلال الفترة الزمنية بين تشرين الأول/أكتوبر 2023 حتى كانون الأول/ديسمبر/2024.

الحطاب

وهو الرجل الذي يقوم بقص الأخشاب وتقطيعها وتنشيرها، ومن ثم بيعها للمواطنين بغرض استخدامها في الطهي، وقد برزت مهنة الحطاب نتيجة لمنع إدخال الغاز المنزلي بشكل كامل إلى قطاع غزة، فلجأ المواطنون إلى الاحتطاب للطبخ على النار، وقد بدأ الاحتطاب مما لديهم من أخشاب، أو من الشجر المعمر مئات السنين، الذي اقتلعه الاحتلال عمداً. وقد تطورت هذه المهنة وأصبح للحطب باعة وأماكن مخصصة لقص الحطب، وتنشيره، وبيعه. ومع اشتداد الأزمة وتعمقها،ارتفعت أسعار الحطب بشكل مضاعف، وقد تنوعت أسعار الحطب وأنواعه مثلاً: حطب شجر الزيتون أغلى الأسعار، وخشب المشاطيح أقل منه سعراً، والحطب الناشف سعره أعلى من الحطب غير الناشف، والجدول التالي يوضح الأسعار في تشرين الثاني/نوفمبر 2024:

#	نوع الحطب	السعر بالدولار الأمريكي/كيلوغرام
1	"خشب الزيتون الناشف" قص قديم	1.5
2	خشب الزيتون غير الناشف "قص جديد"	1
3	خشب المشاطيح	1.2
4	خشب شجر الشوارع "الظل"	0.90

وفي ظل البطالة العالية وانقطاع دخل الأسر، لا يستطيع كثير من المواطنين شراء الأخشاب بهذه الأسعار.

أما على صعيد المخاطر البيئية والصحية، فقد حذرت بلدية غزة من التدهور البيئي المتسارع الذي يهدد المدينة ويقودها نحو الانهيار البيئي الكامل، نتيجة استمرار العدوان، ومنع دخول غاز الطهي.وأشارت إلى أن هذا المنع دفع العديد من العائلات لاستخدام خشب الأشجار في التدفئة والطهي،ما يفاقم الأزمة البيئية، ويعرض الغطاء النباتي للخطر، الذي يمثل رئة المدينة، ومصدراً لتحسين جودة الهواء وتخفيف التلوث. كما تُعد الأشجار موائل للطيور وتلعب دوراً مهماً في تلطيف درجات الحرارة ... وأنَّ اعتماد الأسر على حرق الأخشاب ومواد أخرى للتدفئة والطهي، يزيد من التلوث اللحظي في الهواء، ما يفاقم المخاطر الصحية على الجهاز التنفسي، وبخاصة للأطفال وكبارالسن، ويعرضهم لأمراض تنفسية خطيرة.

التقيت أم ماجد (45 عاماً)، من شمال غرب غزة، نازحة إلى وسط مدينة غزة، عن سبب شراء الحطب؟ أجابت أنَّها تشتريه لإشعال النار لاستخدامها في الطبخ والتدفئة لانقطاع الغاز المنزلي. أما عن الأضرار الصحية التي يسببها الحطب فقد قالت: إنَّه يسبب لي له أضراراً تنفسية، ولكن ما حاجة المضطر؟! لقد اضطررنا لأكل علف الحيوانات، نحن نريد أن نعيش، فقط أن نعيش. وعن سبب إقامتها في وسط المدينة، قالت: كنت أسكن في بيت كبير في آخر حي النصر، ولكن،للأسف، تضرر بيتنا كثيراً، وأصبح غير صالح للسكن، ونزحت في بيت ابنتي في منطقة الشفاء،وعند اجتياح الشفاء اضطررنا للنزوح إلى بيت ابنتي الأخرى في حي الدرج، وبعدها نزحنا إلى هنا حول السرايا، ومرة نزحنا إلى غرب المدينة حول مربع الجامعات، وحين اقتحمت الآليات غرب المدينة، عدنا إلى هنا حول السرايا، ثم عدنا إلى بيتنا في حي النصر، ولكن لانعدام مقومات الحياة هناك من ماء وكهرباء، اضطررنا إلى العودة إلى بيت ابنتي في الدرج، وحالياً أسكن هنا في منطقة السرايا في بيت أهلي النازحين في جنوب القطاع.

بائعوا الأكياس الفارغة

انتشرت هذه المهنة فترة انتظار المساعدات على دوّاريّ النابلسي والكويت في مدينة غزة، وقد كان يحضر آلاف من المواطنين إلى هناك، حيث يصطف الباعة على طول الطريق، ويبيعون الأكياس الكبيرة لمنتظري المساعدات لوضع المساعدات في الأكياس إن حصلوا عليها. ويباع الكيس الواحد بنصف دولار أمريكي، وعادة ما تكون من الأكياس التي يُعبأ بها الدقيق أو العلف سعة 50 كيلوغراماً التي توقفت شركاتها ومصانعها.

بسطة تبيع أكياس فارغة للمواطنين لوضع المساعدات فيها. (عدسة: الكاتب)

مهن المساعدات

مساعدات النابلسي والكويتي

برزت هذه الظاهرة في شمال القطاع خلال الفترة الزمنية ما بين كانون الأول/ديسمبر 2023، وحتى نيسان/أبريل 2024، حيث شهدت هذه الفترة فوضى شاملة وعارمة في المساعدات وكانت المجاعة في أوجها في مناطق شمال قطاع غزة، أو ما يعرف بشمال الوادي حسب تسمية جيش الاحتلال الإسرائيلي، حيث يقوم المواطنون بانتظار شاحنات المساعدات بالقرب من دوّاريّ النابلسي والكويت، وعند قدومها يتم السيطرة عليها، وأخذ المساعدات منها وبيعها. وكانت المساعدات عبارة عن كيس طحين وكراتين معلبات، وكان البعض يحصل على كيس طحين ويبيعه في الطريق، والعودة مرة أخرى لانتظار باقي الشاحنات وأخذ مساعدة أخرى وبيعها ... وهكذا.

مساعدات الطائرات

قامت عديد الدول برمي مساعدات من الجو في شمال القطاع وجنوبه. وعلى أثر ذلك،بدأت تتشكل مجموعات من 3-4 أشخاص لانتظار قدوم الطائرات، وتحديد أماكن سقوط المساعدات والتقاطها، ومن ثم بيعها في الأسواق. وقد غزت هذه المساعدات الأسواق، وبخاصة التمور والوجبات الجاهزة. وقد تسببت هذه الآلية في قتل عدد المواطنين جراء سقوط طرود المساعدات على رؤوسهم أو خيامهم، وامتُهنت كرامتهم وإنسانيتهم، فحتى تحصل على صندوق مساعدات، تحتاج للانتظار ساعات طويلة وسط تدافع وزحام شديد يتسبب أحياناً بإصابة المتدافعين بحالات إغماء.

التقيت أحد المواطنين الذين عملوا في بيع المساعدات، المواطن أحمد محسن (37 عاماً) من الشجاعية، فني دهان، يعيل أسرة من سبعة أفراد، سألناه عن أسباب وطبيعة عمله في بيع مساعدات الطائرات؟ قال: كنت قبل الحرب فني دهان، والآن عاطل عن العمل، ولإعالة أسرتي اضطررت للبحث عن عمل ما، وكنا نعيش في كل مناطق شمال غزة في مجاعة حقيقية، فتتبعت أكثر من مرة طائرات رمي المساعدات، فكانت ترمي مساعداتها بمواعيد مختلفة، أحياناً في الثامنة صباحاً، وأحياناً أخرى بعد الظهر.

وبالنسبة لأماكن رمي المساعدات، كانت في مناطق شمال غرب غزة (النصر، الكرامة، السودانية، المخابرات، الصفطاوي)، وعرفت، أيضاً، نوعية الطائرات التي ترمي المساعدات، يعني، مثلما يقال، أصبحنا أصحاب خبرة، مثلاً الطيران الأردني كان يرمي مساعدات حول الصفطاوي، والأمن العام، ودوّار التوأم، والكرامة، أرض الشنطي، والطيران الإماراتي كان يرمي حول شاطئ البحر، وفندق المتحف، إلى دوّار الخزندار،أما الطيران الأمريكي فكان يرمي مساعدات في أقصى الشمال الغربي لغزة، في مناطق آخر السودانية، والفروسية، كنت أقطع حوالي 5-6 كيلومترات سيراً على الأقدام، وأحياناً الطائرات ترمي مساعداتها وأنا بعيد عنها حوالي كيلومترين، وحينها اضطر أنا وباقي المواطنين للجري خلف المساعدات في حر الشمس، بمظهر إذلال وإرهاق وتعب، وحين الوصول هناك تجد الناس يتدافعون وكأن القيامة قامت. كان أصعب المشاهد حين ترى الناس ملقَين على الأرض، ويسير عليهم أناس آخرون، ناهيك عن وجود العصابات هناك، وكانوا مجهزين أنفسهم من كل النواحي، ويأتون بكاراتهم وعلى التكاتك، والسيارات، ويسيرون حيث الطائرة تسير، وتجدهم مسلحين بالسلاح الأبيض، فتجد الناس أمامك منهم المصاب والمخنوق، ترى الموت أمامك أكثر من المساعدات التي تُلقى علينا. لقد كان أفراد هذه العصابات يُقسِمون العمل فيما بينهم، وتتكون كل مجموعة من 5-6 أشخاص، وتجد أحدهم جالساً على الباراشوت، و يقومون بتفريغ الباراشوت ومحتوياته".

وأضاف: كل طيران معروف ماذا يُلقي على الأرض، فالطائرات الأردنية كانت تلقي الوجبات الغذائية مثل المقلوبة، والمجدرة، وزيت قلي، وجبنة، وحليب، ... إلخ، وفي بعض الأحيان يُلقُون ملابس للأطفال والنساء، أما الطيران الإماراتي فكان يُلقي (تمور، ومياه، وعصائر، ومعلبات فواكه، ومعلبات لحوم، ومنظفات، وأغراض صحية للأطفال والكبار)، والطيران الأمريكي والكندي يُلقي حوالي 32 باراشوت، وكانت تحتوي على وجبات مصنفة ومرقمة، كنت أشتري أو أحصل على بعض هذه الوجبات فأبيعها جملة أو مفرقاً.

حدثنا عن الذل هناك، فقال: كانت بعض الصناديق تنزل في البحر، والناس تلهث خلفها وهناك من غرقوا، وآخرون قتلوا دعساً تحت الأرجل نتيجة التدافع، وآخرون ماتوا خنقاً، لم أكن أتدافع مثلهم، لكن لك أن تتخيل أنك تلهث خلفهم وفي أفضل الأحوال لا تملك إلا الدراجة الهوائية، فتلهث و تهلك نفسك في الشوارع المدمرة، وأحياناً تستطيع الحصول أو لا تستطيع، وأحياناً تجد طائرة أخرى قادمة فتلهث خلفها وقد تحصل على شيء أو لا تحصل، وكل هذا في سبيل تحصيل لقمة العيش.

عصابات سرقة المساعدات

تسببت حالة الفوضى والفلتان التي نجمت عن الحرب، بظهور عصابات مسلحة مهمتها السطو على مراكز التوزيع، واعتراض شاحنات المساعدات وسرقتها، وقد أظهرت تحقيقات لصحف إسرائيلية مثل "هآرتس"، وعالمية كـ"واشنطن بوست"، في تحقيقات منفصلة، أن عصابات منظمة تسرق المساعدات في غزة، وتعمل بحرية في مناطق يسيطر عليها الجيش الإسرائيلي. وكشفت تقارير عن منظمات دولية وإغاثية أن الجيش الإسرائيلي، ربما "يغض الطرف وقد يسهل" عمل عصابات مسلحة لسرقة شاحنات المساعدات في مناطق سيطرته في قطاع غزة، وهو ما قد يعد"جزءاً من سياسة تجويع سكان غزة". ومما ذكر في التقارير، أيضاً، أنَّ مذكرة داخلية للأمم المتحدة أشارت إلى أنه بحسب تقرير "واشنطن بوست"، فإن عصابات سرقة المساعدات في غزة"تستفيد من تساهل -إن لم يكن حماية- من الجيش الإسرائيلي"، وأن قائد عصابة أنشأ ما يشبه قاعدة عسكرية في منطقة يسيطر عليها الجيش الإسرائيلي، وقد ساهمت هذه العصابات في امتناع عديد المؤسسات عن العمل نظراً لتعرض مساعداتها للسرقة السطو المسلح، وأدى ذلك إلى المساهمة في تجويع السكان، وألحقت خسائر مادية فادحة بالمستوردين والتجار، حيث تتقاضى مبالغ مالية للإفراج عن المساعدات، أو تقوم ببيعها في الأسواق.

تسجيل المساعدات

تعتبر من المهن التي ظهرت خلال الحرب، وهي عبارة عن قيام أحد الأشخاص، وغالباً من فئة الشباب الجامعيين، بفتح نقطة تسجيل في المساعدات الإنسانية للمواطنين، وذلك من خلال الروابط التي تنشرها الجمعيات والمؤسسات الإغاثية العاملة في قطاع غزة، ويتطلب ذلك توفير "لاب توب"وتوصيله بأقرب نقطة كهرباء متوفرة، وطاولة صغيرة، وكرسي، ويجلس في المفترقات والطرقات والأسواق، ويتقاضى حوالي دولار أمريكي للتسجيل على أي رابط مساعدات. ومن الجدير ذكره أنَّ البعض قد تغلب على عدم وجود نقطة كهرباء من خلال طباعة البيانات المطلوبة لكل رابط، ويُدوِن بيانات المواطنين عليها، ومن ثم يسجلها في البيت أو أي مكان يتوفر فيه تيار كهربائي وإنترنت.

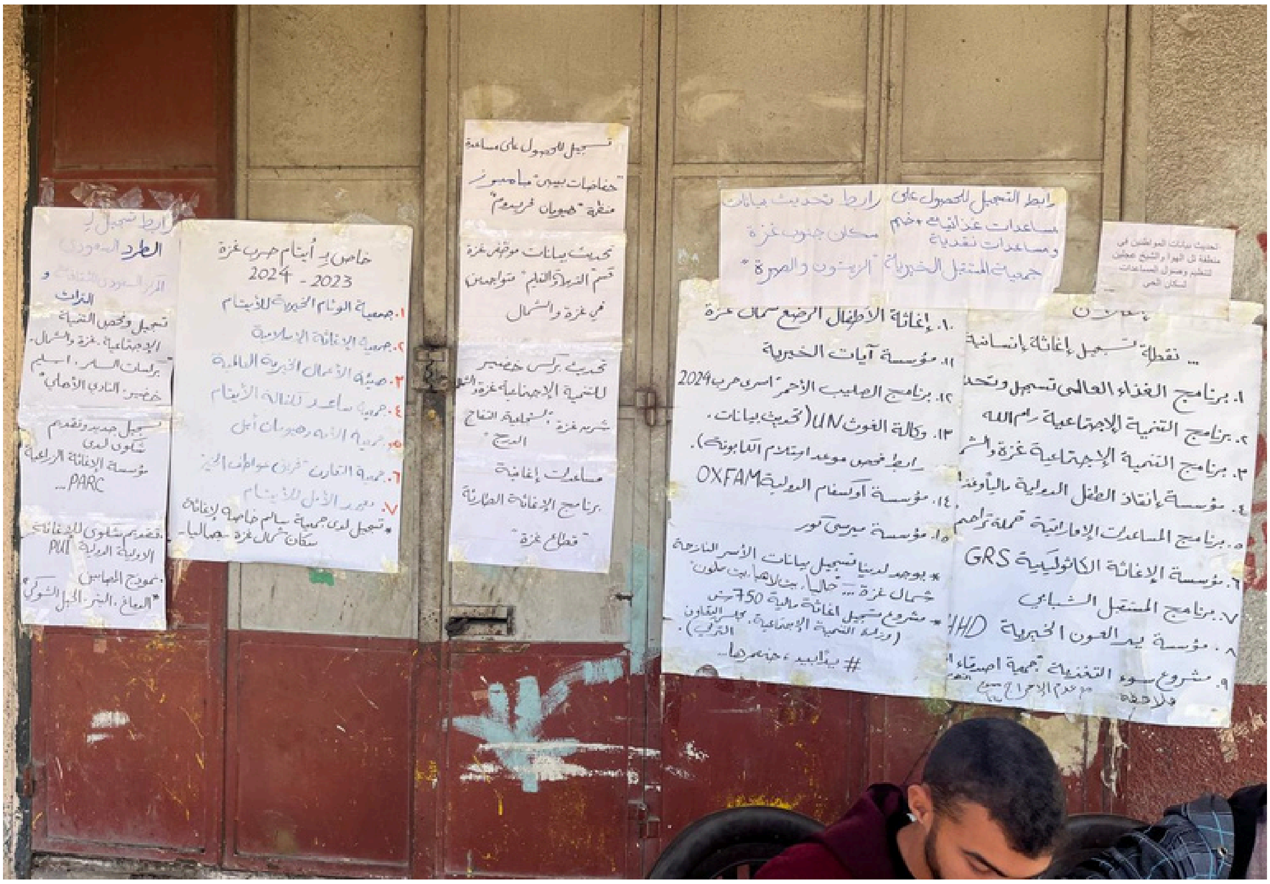

شاب يقوم بتسجيل المساعدات للمواطنين أمام أحد المفترقات. (عدسة: الكاتب)

عمال تفريغ المساعدات وتوزيعها وتسليمها

يتم تشغيل هؤلاء العمال من قِبل أصحاب المخازن التي تستأجرها المؤسسات الإغاثية، أو حتى المؤسسات نفسها أو المواطنون، وتتلخص مهامهم في تنزيل المساعدات وتفريغها وتوزيعها على المواطنين، وتكون الأجرة إما مبلغاً نقدياً أو طرد مساعدات، وهناك آخرون يعملون في توصيل المواطنين الذين يستلمون مساعدة إلى منازلهم، من خلال عربة صغيرة. يقول محمد (33 عاماً)، أب لخمسة أفراد، ونازح من بيت لاهيا إلى غرب مدينة غزة: أعيش ظروفاً قاهرة في مدرسة، حيث وجدنا صفاً مدرسياً جلسنا فيه، وكانت قد تعرضت المدرسة للقصف فتضرر المكان بأكمله،حيث لا شبابيك ولا أبواب، حاولنا ستر أنفسنا، نعيش تحت البرد، وهناك صعوبات في كل شيء في مكان المبيت، وفي تعبئة المياه، ونمضي معظم أوقاتنا في جمع الحطب لإشعال النار للطبخ والتدفئة. وقد نزحنا حتى الآن حوالي 12 مرة، ونزوحنا الأخير من الشمال منذ حوالي 70 يوماً لانستطيع الوصول هناك، فكل من يقترب يتم قتله.

وعن طبيعة عمله، قال: أقف على مدخل مركز التوزيع، وأقوم بتوصيل المواطنين الذين يستلمون مساعدات إلى المكان الذي يريدونه، وأتقاضى أجراً يتراوح من 5-6 دولارات على كل توصيل، علماً أنَّ كل طلب توصيل يأخذ معي 2-3 ساعات على حسب بُعد مسافة الطلب، فأحياناً أسير في الطلب الواحد من 3-5 كيلومترات، وعن صناعة العربة التي يجرها أجاب أنه قام بتصنيعها حديثاً لدى أحد الحدادين، حيث إنَّه لم يتمكن من جلب شيء من منزله أثناء نزوحه، وقال: لقد قمت ببيع "جزء من ذهب زوجتي" لأدفع تكاليف صناعة العربة.

محمد نازح من شمال غزة إلى مدينة غزة يقف أمام إحدى مدارس الأونروا التي قصفها الاحتلال، يجر عربة قام بتصنيعها حديثاً لتوصيل المواطنين بالمساعدات التي يحصلون عليها. (عدسة: الكاتب)

عمال التكايا

تعتبر من المهن التي لاقت انتشاراً واسعاً خلال الحرب، وقد ظهرت نتيجة للحرب وتبعاتها،وحرب التجويع التي مارستها إسرائيل بحق أهالي قطاع غزة، وتعذر قيام الأهالي بالطبخ في بيوتهم لأسباب كثيرة، حيث يقوم بعض المتبرعين وأهالي الخير بالتواصل مع أشخاص معروفين لديهم لطبخ الطعام وتوزيعه على الناس، ويكون الطبخ والتجهيز في الشوارع، أو مراكز الإيواء، أوغيرها، ويتقاضى عامل التكية حوالي 30 دولاراً أمريكياً يومياً.

التقيت عبد الله (27 عاماً)، من مدينة غزة، سألته عن عمله الأصلي وظروف عمله الحالي، أجاب:كنت أعمل مراسلاً في إحدى الشركات قبل الحرب، وللأسف تعرضت الشركة للدمار وتوقفت عن العمل، فقمت بالبحث عن مهنة أخرى، فعملت عاملاً في إحدى التكايا، حتى أستطيع بناء مستقبلي، ومساعدة أهلي في ظل ظروف الحرب المستمرة.

وعن أجره اليومي، أشار إلى أنَّه يتقاضى يومياً حوالي 30 دولاراً، و"لكن العمل خطير، حيث إننا نعمل ونوزع الطعام على الناس، ونخشى من التعرض للقصف العشوائي. وللأسف، العمل عندنا غير مستقر، فنظراً للنزوح المتكرر للمواطنين، نضطر لوقف العمل، ومن ثم نعود إليه".

عامل تكية يقوم بطهي الطعام في مراكز الإيواء. (عدسة: الكاتب)

صيانة الدراجات الهوائية واصلاحها

تعتبر هذه المهنة من المهن التي كانت موجودة في قطاع غزة قبل حرب الإبادة، ولكن بشكل قليل، إلا أنها ومع الحرب وتبعاتها من منع إدخال أنواع المحروقات كافة، وارتفاع ثمن المواصلات العمومية والخاصة، إن وجدت أصلاً، وعدم تمكن السيارات من السير في الشوارع نظراً لحجم الدمار والركام في الطرقات، لجأ الناس إلى السير على الأقدام، أو استخدام الدراجات الهوائية لقضاء احتياجاتهم، التي من أبرزها: التسوق، واستلام طرود المساعدات، والنزوح، وغيرها من الاحتياجات. وقد قام المواطنون بتركيب صناديق على الدراجات للتحميل عليها. ومن اللافت فيهذه المهنة قيامهم بافتراش الطرقات والزوايا في الشوارع لعملهم، حيث إنها لا تحتاج آلات أو معدات سوى بعض المستلزمات والعدد البسيطة.
التقيت العشريني أحمد، من المناطق الشرقية لغزة، وحالياً هو نازح إلى غرب غزة، الذي يعمل في صيانة الدراجات الهوائية على جانب أحد الطرق، أجابنا عن أسباب عمله ولماذا يعمل على جانب الطريق؟ فقال: تعرض محلي سابقاً للتدمير في شرق غزة، وحاولت تجميع بعض المعدات وما تبقى منه وأخذها إلى مكان نزوحي، وأعمل متنقلاً هنا وهناك، وبسبب عدم وجود مكان افترشت الطريق، وأعمل الصيانة اللازمة للدراجات لانتشارها بشكل كبير هذه الأيام في ظل انقطاع المحروقات. وعن أسباب عمله، أجاب: أعمل لإعالة أسرتي المكونة من 4 أفراد، وعن أبرز ما واجهه من صعوبات؟ أجاب: نقص قطع الغيار، وغلاء ثمنها إن توفرت، ونفاد بعضها من الأسواق نتيجة الحصار والحرب.
وعن ظروف نزوحه وأين يعيش؟ أجاب: نزحت حوالي 10 مرات، تنوعت من مشفى إلى مركز ومدرسة إيواء وبيوت أقارب، وأحياناً في الشوارع، وأعيش الآن في خيمة صغيرة داخل أحد مخيمات الإيواء المقام على أرض ملعب فلسطين. ظروفنا صعبة ومؤلمة، وبخاصة في برد الشتاء،وأكثر ما يؤلمني أطفالي الصغار وقت النزوح، أو أثناء العيش في الخيمة، وكثرة تنقلهم من مكان إلى آخر تحت القصف والمدافع.

وعن مساعدة المهنة له في هذه الظروف، قال إنَّها ساعدته كثيراً، و"لكن المعاناة مستمرة في ظل غلاء الأسعار وحالات النزوح المستمرة"، وأكد أن أكثر ما يحتاجه، الآن، هو وقف الحرب والدمار.

وأضاف: أُحصِّل حوالي 10 دولارات أجرة يومية، ولكن، للأسف، عملي غير مستقر لظروف الطقس، فعندما تكون هناك أمطار لا أعمل، وحيث يكون نزوح لا أعمل، وأبحث عن مكان جديد.

عمال يقومون بإصلاح الدراجات الهوائية وصيانتها في أحد الطرقات. (عدسة: الكاتب)

صانع المراحيض

هذه المهنة برزت في مخيمات النزوح ومراكز الإيواء، حيث يقوم من يمتلك الخبرة بحفر مراحيض بدائية للنازحين بجوار خيامهم، وقد تطورت لصناعة مراحيض لمراكز الإيواء في المدارس أو الملاعب، وقد التقينا أبو ماجد الأربعيني، حدثنا أنَّه يعمل لصالح إحدى الجمعيات الخيرية،ويصنع مراحيض لمراكز الإيواء، وعن صعوبات مهنته، أجاب: أواجه صعوبات كبيرة في جلب المواد الخام من حديد، و أسياخ لحام، وزرافيل، ... إلخ، نتيجة انقطاعها من الأسواق بفعل الحصار والحرب، ناهيك عن غلاء السولار المستخدم لتشغيل المولد نتيجة انقطاع الكهرباء، واستخدام حالياً السولار الصناعي الذي يُصنع في غزة بسبب انقطاع السولار من الأسواق.

التقيت، أيضاً، أحد القائمين على الجمعيات الإغاثية وسألته عن سبب توجههم لصناعة هذه المراحيض، أجاب: بفعل حالات النزوح الكثيرة، وأعداد النازحين الكثيرة، والتكدس الكبير في مراكز النزوح والإيواء، وعدم كفاية المراحيض الموجودة في المدارس، وعدم وجود حمامات في مخيمات النزوح التي يتم افتتاحها في الملاعب وغيرها. وأضاف: توجهنا لصناعة المراحيض تخفيفاً من حدة هذه المعاناة الكبيرة التي يعاني منها الناس؛ سواء بقلة عدد المراحيض، أو عدم ملاءمتها للبعض مثل النساء، وكبار السن، وذوي الاحتياجات الخاصة، حيث نصنع مراحيض تلائمهم وتلائم خصوصياتهم.

حمامات عمومية في الشارع بعدسة (الكاتب)

صيانة البوابير

تعتبر من المهن التي كانت موجودة منذ سنوات طويلة مضت في قطاع غزة، حين كان يعتمد الأهالي على الكاز والسولار في الإضاءة والطبخ، إلا أنَّه، ومع استخدام الغاز المنزلي، وتوصيل الكهرباء للمنازل، واعتماد الأهالي عليها، أحجموا عن استخدام البوابير. لكن نتيجة ما خلفته الحرب من منع إدخال الغاز، وقَطع التيار الكهربائي، أصبح بعض السكان يعتمدون على البوابير للطبخ والتسخين وغيرها من الحاجيات، وقد أصبح متوسط سعر بابور الكاز حوالي 100-150 دولاراً أمريكياً، بعدما كان قبل الحرب لا يتعدى 7-10 دولارات.

التقيت "أبو جودة" (40 عاماً)، يعيل أسرة من عشرة أفراد، من مدينة غزة، أخبرني عن مهنته قائلاً: تعلمتها نقلاً عن عمي، والحرب أحيتها ولمست إقبالاً شديداً من الناس عليها سداً لحاجاتهم، في ظل منع إدخال الغاز المنزلي.

وعن صعوبات المهنة، قال: عدم توفر بعض قطع الصيانة، حيث إنّ هذه المهنة اندثرت منذ زمن طويل، وأجد صعوبة في الحصول على قطع الغيار، وهناك صعوبات أخرى كارتفاع أسعار اللِحام نتيجة غلاء السولار الصناعي اللازم لتشغيل الماكينات، وغلاء القطع الأخرى إن توفرت.

وقال: كنت أعمل سابقاً في تصنيع "سياخ المشاوي"، وللأسف خسرت كل ما أملك، فقد تعرض محلي كاملاً للسرقة والتدمير، وخسائري تقدر بأكثر من 70 ألف دولار أمريكي، حيث قبل بدء الحرب انتقلت مع كل أصحاب المحلات إلى السوق الجديد في منطقة اليرموك، لحين تجهيز هذا السوق وتطويره، وللأسف اجتاحت الآليات السوق وتمركزت وتدمر كل شيء وسُرِق، وها أنا الآن على بسطة لإصلاح البوابير.

وعن نزوحه المتكرر قال: النزوح مر ومتعب، نزحت لدى بيت أخوالي، عند اجتياح منطقتنا خرجنا تحت التهديد والقصف والنار، وعشنا أياماً صعبة للغاية، لقد كنا نحصل على المياه للشرب أو الاستخدام المنزلي من مسافة كيلومترين سيراً على الأقدام، عدا عن عدم وجود كهرباء أو شبكات إرسال لنتواصل مع أهلنا وأقاربنا.

أبو جودة افتتح بسطته حول أنقاض محله المدمر لصيانة البوابير. (عدسة: الكاتب)

أبو جودة يعمل في صيانة البوابير وسط سوق فراس المدمر أقدم أسواق غزة وسط مدينة غزة، الذي تحول إلى أكبر مكب للنفايات. (عدسة: الكاتب)

بائعوا المياه المُثلجة والعصائر الباردة

انتشرت هذه المهنة إثر انقطاع المياه وعدم وجود مياه صالحة للشرب وباردة لدى الغالبية العظمى من المواطنين. وينتشر الباعة في الطرقات والمفترقات، ويقوم البائع بتعبئة المياه أو العصائر في أكياس نايلون بحجم نصف لتر تقريباً، وبيع الكيس بحوالي نصف دولار أمريكي. وقد تم اللجوء إلى تعبئتها في أكياس بدلاً من العبوات البلاستيكية نظراً لعدم توفرها واختفائها من الأسواق. وحالياً، حتى في البيوت وأماكن النزوح، تتم تعبئة المياه مثلاً بجالونات زيت القلي.

عصائر مثلجة في أكياس نايلون وتوضع بها المياه الباردة أيضاً. (الجزيرة نت)

بائعوا الثلج

انتشرت خلال فصل الصيف، حيث يقوم من يمتلك الطاقة الشمسية بتعبئة المياه في أكياس نايلون بحجم لتر للكيس الواحد وتجميدها وبيعها للمواطنين. ويباع لتر الثلج بحوالي دولار أمريكي، ومن اللافت قيام بعض المصانع بتصنيع الثلج لتشغيل مصانعهم وتحصيلاً للرزق.

باعة المرق

لأول مرة في قطاع غزة يتم بيع "مرق اللحوم" أو بيع "مرق العظم"، حيث لجأ المواطنون لها كبديل للحوم نتيجة انقطاعها من الأسواق، وإن توفرت يكون سعرها مرتفعاً جداً، وحتى عندما انقطعت اللحوم، بشكل كامل، لجأوا إلى بيع "مَرَق السلاطعين" خلال موسمها، ويبلغ ثمن اللتر الواحد من المَرَق حوالي 1.5 دولار أمريكي.

الحاج "أبو طارق" (60 عاماً)، من مدينة غزة، بائع لحوم قبل الحرب، أفاد بأنَّه مع اختفاء اللحوم من الأسواق كلحوم العجول والخراف، فَقَدَ عمله وأصبح عاطلاً عن العمل، ولكنه توجه لشراء مايعرض عليه من خراف ونعاج بأثمان باهظة، وأوضح أنَّه حالياً لا يوجد مزارع أو تجار للشراء منهم، ولكنه يشتري من المواطنين الذين يربون في منازلهم تربية ذاتية، ويقوم ببيع اللحم بأثمان باهظة نظراً لارتفاع تكلفة شرائها، ويقوم ببيع العظم والمرق للراغبين.

وعند سؤاله عن وجود إقبال على شراء العظم، أفاد بأنّه يوجد، وبشكل كبير، نظراً لارتفاع تكلفة اللحم، حيث يستخدمها الناس بدل اللحوم.

ولدى سؤاله هل تم بيع المرق سابقاً، أوضح أنَّه يعمل في ذبح وبيع اللحوم منذ 50 عاماً، ولم يعهد قيامهم بطبخ المرق وبيعها، وحتى العظم كان سابقاً يُعطى بالمجان لمن يشتري لحم.

وعن أجره اليومي، قال: كل شيء نصيب، مستورة والحمد لله، أحياناً أعمل طوال النهار وأحصّل 10 -12 دولاراً، وبعض الأحيان لا أستطيع بيع كل الكمية، فآتي يوم غد وأجد ما تبقى قد فسد،حيث لا توجد ثلاجات للتبريد، فأكون خسرت بدلاً من أربح. وعن الصعوبات التي تواجهه في مهنته، أجاب: ندرة اللحوم، فأطبخ المرق أحياناً بقليل من اللحم أو العظم، وهناك صعوبات أخرى تتعلق بجلب الحطب وشرائه، حيث إنه كل يوم بسعر معين، والتوابل تزيد أسعارها يومياً، وهذا يزيد التكلفة عليّ، ولكن في المحصلة استفدت من هذه المهنة في إعالة أسرتي وأهل بيتي حتى يفرجها الله.

محل لحوم سابقاً، يبيع مرق اللحوم حالياً.

الحاج أبو طارق يبيع المرق أمام محله الذي كان يبيع فيه أجود أنواع اللحوم. (عدسة: الكاتب)

الوقوف في الطوابير

يقف أحد المواطنين في طابور الانتظار، وقد يكون طابور استلام مساعدات أو طابور الصراف الآلي لصالح مواطنين آخرين، ويعرف بـ "حاجز دور"، ويتقاضى على ذلك مبلغاً مادياً يتراوح من 10-30 دولاراً أمريكي، على حسب طول فترة الانتظار.

وقيفة المخابز

انتشرت هذه المهنة أو هذه الظاهرة مع إعادة تشغيل المخابز بعد إغلاقها لفترات طويلة،وتقوم على قيام بعض الأشخاص، وغالبيتهم من الأطفال، أقل من 18 عاماً، بالوقوف في طوابير الخبز وشراء ربطة خبز أو اثنتين، ومن ثم إعادة بيعها إلى المواطنين الذين لا يرغبون في الاصطفاف على الطوابير الطويلة لشراء الخبز، وتباع الربطة بأضعاف سعرها. ومن اللافت في هذا الأمر أنه أثناء عمل المخبز، يقوم هؤلاء ببيع الربطة بضعف أو ضعفي سعرها -على حسب حجم الطابور- أما عندما يتم إغلاق المخبز، فتباع الربطة بحوالي 6-10 أضعاف سعرها.

أطفال يبيعون الخبز أمام أحد المخابز. (عدسة: الكاتب)

التقيت بالطفل أحمد، الذي لم يتجاوز الثانية عشرة، طالب مدرسة، نازح من شمال غزة إلى مدينة غزة للمرة السادسة، وعن سبب النزوح أفاد بأنهم خرجوا مضطرين تحت القصف والقذائف،و"نسكن الآن في مدارس الإيواء المجاورة للمخبز". وعن ظروف النزوح، قال إنهم يعيشون فيخيمة قماش تحت المطر والبرد الشديدين. وأضاف أنَّه يعمل لمساعدة أسرته، حيث إنَّه المعيل الوحيد لأسرته بعد استشهاد والده، ويعمل خلال النهار في الأسواق، وعند المساء يعمل حتى منتصف الليل في بيع ربطات الخبز للمواطنين. وعن خطر تأخره ليلاً أجاب أنَّه يعلم خطورة التأخر فيالليل، لكن الظروف هي من تجبره على ذلك، مشيراً إلى أنَّه يُحصِّل يومياً ما يقارب 10 دولارات،ولا تكفي لإعالة أسرته. وتابع: أحياناً أعمل طوال اليوم وأخسر بسبب أنني لا أجد من يشتري مني ربطة الخبز آخر يوم عملي، فأخسر ما عملته في اليوم، أو أبيع الربطة بأقل من ثمنها".

الطفل أحمد يبيع الخبز ليلاً أمام أحد المخابز. (عدسة: الكاتب)

وقيفة مراكز توزيع المساعدات

في ظل توقف الحركة التجارية والاقتصادية وشللها في قطاع غزة، ومنع إدخال السلع كافة إلى القطاع، أصبح الأهالي يعتمدون، بشكل كامل، على المساعدات الإنسانية والإغاثية، ولجأ مواطنون إلى بيع بعض ما يحصلون عليه من مساعدات إلى ما يُعرف بـ "الوقيفة" الذين يقفون على أبواب مراكز توزيع المساعدات، ويتسابقون على الشراء من مستلمي المساعدات بنظام "من يدفع أكثر"، وأصبحوا هم المتحكم والمحدد الرئيس في أسعار السلع في الأسواق.

يقول "أبو محمد" (39 عاماً)، من مدينة بيت حانون، نازح إلى مدينة غزة، ويعيل أسرة من خمسة أفراد: كنت تاجراً قبل الحرب، عندي معرض كبير للأجهزة الكهربائية، ولكن للأسف دمره وحرقه الاحتلال بالكامل. وتابع: لجأت إلى فتح بسطة في السوق لإعالة أسرتي، عملت كمعظم الناس فيبيع المعلبات وما شابه، وحالياً أقف على أبواب مراكز توزيع المساعدات، وأشتري مساعدات ممن يرغب في بيعها، ثم آتي إلى السوق وأبيعها للمواطنين. وعن عوائد البيع المادية، قال: التجارة ربح وخسارة، أحياناً أبيع فأربح ربحاً بسيطاً، وأحياناً أتعرض لخسائر، فالسوق متقلب جداً، فأحياناً تجده يغرق بالبضائع فتهبط الأسعار ونتعرض لخسائر كبيرة لأننا اشترينا بسعر أعلى من سعر السوق، وأحياناً فارغ من البضائع فترتفع الأسعار، وحينها لا أستطيع الشراء. وعن سبب قدومه لمدينة غزة، قال: النزوح القسري تحت النار، نزحنا من بيت حانون وليتنا ما نزحنا. وعن عدد مرات نزوحه أجاب: اسألني كم مرة لم تنزح؟ وعن ظروف نزوحه، قال: نزحنا بعد تهديدنا بإخلاء منازلنا،وخلال النزوح ألقيت نحونا قذيفة دبابة فاستشهدت والدتي وتركناها مجبرين، وواصلنا سيرنا، وفي نزوح آخر استشهد ابن أخي، ولم نجد مأوى فقدمنا إلى مدينة غزة، وليتنا لم نأت وبقينا هناك،حالياً أعيش أنا وأسرتي وأسرة أخي وعددنا حوالي 10 أفراد في غرفة وحمام، استأجرتها بمبلغ 200 دولار شهرياً. وتابع: جميعنا ننام في غرفة، وأستأجر مكاناً آخر للمساعدات التي أشتريها للتجارة. وأردف: الحرب هم وقهر وموت.

أبو محمد نازح من بيت حانون إلى مدينة غزة، يعمل في بيع ما يشتريه من مساعدات. (عدسة: الكاتب)

نقاط الشحن

أدى توقف وانقطاع التيار الكهرباء بشكل كامل إلى ظهور هذه المهنة خلال الحرب، وهي عبارة عن قيام من يمتلك جهاز طاقة بديلة بفتح بسطة على باب بيته، وتمديد أسلاك وشحن بطاريات الإضاءة، وأجهزة الجوال، والبور بانك، وأجهزة اللاب توب للناس، وذلك مقابل مادي بسيط على حسب مدة الشحن، أو نوع الجهاز المراد شحنه، ويتراوح البدل المادي حوالي 0.5-3 دولارات أمريكية للجهاز الواحد، وتعتبر من أكثر المهن انتشاراً في قطاع غزة نظراً لحاجة المواطنين الماسة لها.

تحميل الأفلام والمسلسلات

يقوم بعض الشباب بالجلوس على المفترقات والطرقات، ووضع جهاز لاب توب وتحميل عليه عدد كبير ومرغوب من الأفلام والمسلسلات، ويقوم بتحميلها لمن يرغب من المواطنين مقابل بدل مادي عن كل فيلم أو مسلسل حوالي 1-2 دولار أمريكي.

نقاط الانترنت

برزت نتيجة لانقطاع خدمات الاتصال والإنترنت، حيث قام من لديه خبرة وإمكانيات بتوزيع خدمات إنترنت للحارات وبيعها بنظام البطاقة لمدة محددة، علماً أنها كانت موجودة قبل الحرب، إلا أنها في الحرب امتازت بتقلص المدة الزمنية للبطاقة، وارتفاع ثمنها بشكل كبير، فأصبحت ساعة الإنترنت الواحدة ثمنها حوالي دولار أمريكي، مقارنة مع دولار أمريكي لكل 24 ساعة قبل الحرب.

نقاط بيع إنترنت الشرائح الإلكترونية

ظهرت نتيجة انقطاع خدمات الإنترنت، من خلال قيام من يدعم موبايله "الشرائح الإلكترونية" بشراء شريحة إلكترونية وتوزيع الإنترنت خاصتها بنظام الساعة على الراغبين، وتبلغ تكلفة الساعة حوالي دولار أمريكي، وقد تركزت في أماكن التجمعات مثل المفترقات والملاعب.

وعن أسباب توجه المواطنين إليها قال المواطن حسام (38 عاماً): انقطاع الإنترنت لدينا وتدمير الخطوط اضطرنا إلى السير على الأقدام مسافات طويلة للبحث عن نقطة إنترنت للتواصل مع الأقارب في الخارج، أو لمعرفة الأخبار والتطورات السياسية، نأتي إلى ملعب اليرموك لنشتري ساعة أو ساعتين. وعن جودة الإنترنت قال: النت هنا سيئ جداً، حيث يكون أكثر من عشرة جوالات على الشريحة نفسها من خلال نقاط الاتصال، وكلنا هنا نستخدم 2 ميجابايت فقط.

وقال إنَّه نازح من بيت لاهيا، ويعيش حالياً في خيمة مقامة على ملعب اليرموك في مدينة غزة،وأضاف: ظروفي المعيشية قاسية، أشبك الإنترنت لأتواصل مع أقربائنا في الخارج، حيث إنها تقوم بتحويل بعض الدفعات المالية لنا بين الحين والآخر.

تنظيف العملة

أدى منع إدخال أو إخراج العملة الموجودة في غزة وتصريفها واستبدالها عبر قنواتها المختصة، كما كان معمولاً به قبل الحرب، إلى تكدس العملة واهترائها، وذلك لكثرة تبادلها منقبل المواطنين، وعدم تجديدها، وإلى إحجام التجار والباعة عن التعامل بها، ما أدى إلى ظهور أشخاص مختصين في تنظيف العملة بمقابل مادي حوالي نصف دولار أمريكي للورقة الواحدة.

إعلان تنظيف عملات في غزة. (عدسة: الكاتب)

عمولات التكييش

قام عديد المواطنين، وبخاصة التجار، بتشغيل أموالهم والنقد المتوفر في أيديهم وتحقيق أرباح طائلة جداً، وذلك من خلال ما يعرف بظاهرة "المكيّشين" التي تقوم على لجوء المواطن إلى التاجر أو وكيله وتحويل المبلغ إلى حسابه البنكي، ويقوم التاجر أو وكيله باستيفاء عمولة على المبلغ تصل إلى حوالي 30% من إجمالي المبلغ المراد تكييشه. وقد لاقت هذه العملية ازدهاراً واسعاً جداً،وتعرض المواطنون خلالها إلى خسائر كبيرة في أموالهم، وتسببت بمجموعة من الأزمات الأخرى في السوق الغزي.

مهن الأحذية

أدى الحصار الشامل والمنع التام لإدخال السلع كافة إلى قطاع غزة، إلى حدوث ندرة في العرض واختفاء السلع من الأسواق؛ سواء الأساسية أو الكمالية وغيرها، فلم يسلم من الحصار أي صنف،ومنها الأحذية التي يلبسونها، والتي اهترأت وتهالكت مع طول فترة الحرب والنزوح، واستعاض عنها الناس بالبدائل، ومن هذه البدائل:

اصلاح الأحذية القديمة

لجأ المواطنون إلى تصليح أحذيتهم وترقيعها لتسيير أمورهم، وذلك من التوجه إلى "الإسكافي"،الذي انتشرت مهنته خلال الحرب، حيث يقوم بصيانة الحذاء وترقيعه من خلال الخياطة، أو دقه بمسامير، أو إضافة غراء عليه.

إسكافي يقوم بإصلاح الأحذية القديمة. (عدسة: الكاتب)

شراء الأحذية المستعملة وبيعها

قام بعض المواطنين بفتح بسطات لشراء الأحذية المستعملة والقديمة وبيعها بعد إجراء أعمال ترقيع عليها، وذلك للأسباب التي ذكرت في المهنة السابقة، حيث يقوم المواطن ببيع الحذاء القديم لديه،ويقوم المشتري بإجراء ترقيع له وبيعه بسعر أعلى لمواطن آخر، ... وهكذا.

تصنيع الأحذية

لجأ الغزيون إلى تصنيع الأحذية بشكل بدائي من خلال قاعدة خشبية تغطيها طبقة جلدية "القبقاب"، وتعتبر مناطق جنوب القطاع أكثر المناطق التي انتشرت بها هذه المهنة، ولم تلق طلباً كبيراً من قبل المواطنين نظراً لثقل الحذاء.

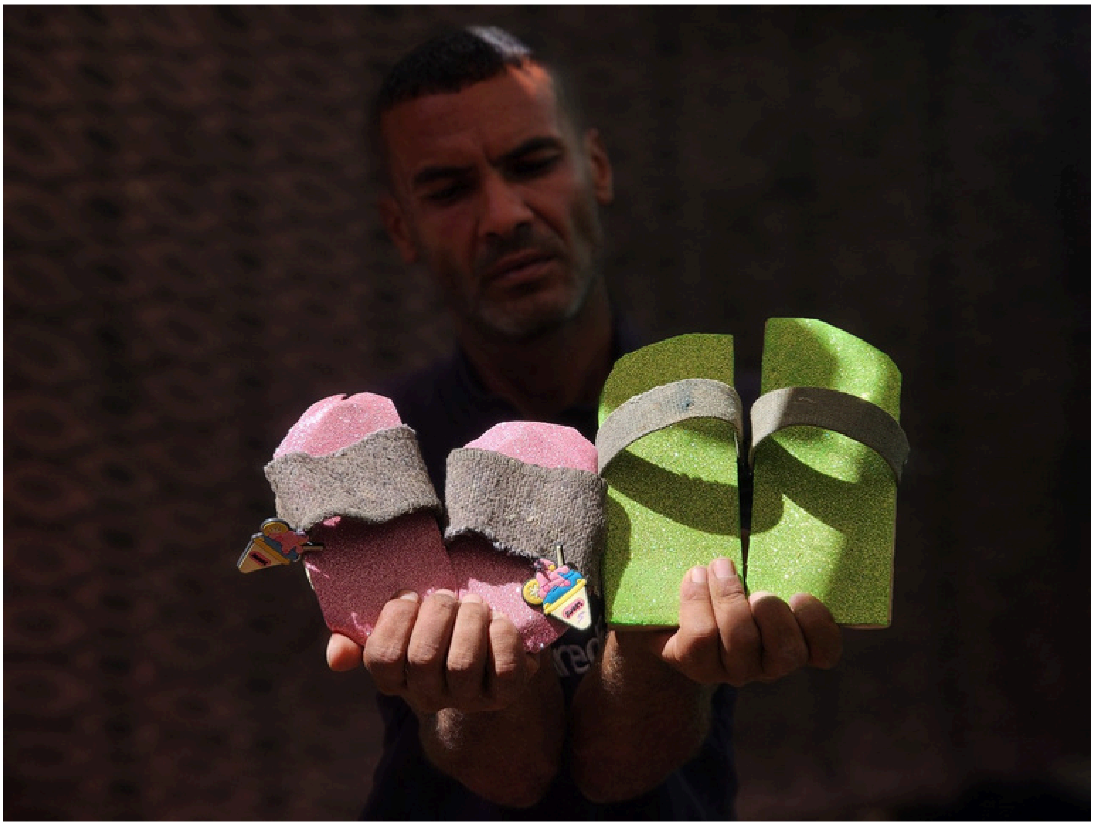

قبقاب خشبي صنعه أحد النجارين في غزة لأطفاله. (الأناضول)

بيع الملابس المُستعملة

تعتبر من المهن الموجودة في قطاع غزة قبل الحرب، وكانت تعرف باسم "أواعي البالة"، ولكن كانمصدر هذه الملابس مما يتم استيراده من "الجانب الإسرائيلي"، أما في الحرب، فأصبح الناسيبيعون ما لديهم من ملابس فائضة عن حاجتهم، ويشتريها "تجار البالة" ويبيعونها إلى من يرغبمن المواطنين، ويقوم الباعة ببيعها على الطرقات والمفترقات.

الطحان

تقوم هذه المهنة على طحن الحبوب كالقمح والشعير والذرة، إما كل صنف وحده، وإما خلط صنفين مع بعضهما البعض وتحويلهما إلى دقيق لصناعة الخبز. وقد برزت هذه المهنة أثناء انقطاع الدقيق بشكل كامل وتام بسبب منع دخوله من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي، وعليه لجأ الفلسطينيون في قطاع غزة إلى طحن القمح والشعير والذرة والأرز باستخدام ماكينات صناعة القهوة والحلويات وتحويله إلى "دقيق"، أو طحن المعكرونة وتحويلها إلى سميد، ويتقاضى الطحان حوالي دولار أمريكي للكيلو الواحد، وقد تركزت هذه المهنة في محافظتي شمال قطاع غزة ومدينة غزة، نظراً لحالة التجويع التي حصلت هناك، ووصلت للمرحلة الرابعة والخامسة حسب تصنيف المنظمات الإغاثية العالمية.

التقيت "أبو علاء" (52 عاماً)، متزوج ويعيل أسرة، ويعتبر أول من قام بطحن الحبوب في شمال القطاع، سألته عن كيف تجسدت لديه الفكرة؟ فأجاب: بسبب حاجة الناس، حاولتُ أنّ أستخدم خبراتي ومهاراتي حيث إنني أعمل سابقاً في صيانة الماكينات وإصلاحها، فقمت بتجريب ماكينة طحن القهوة، وماكينات أخرى مع إجراء بعض التعديلات عليها، حيث أحصل على المواد الخام وقطع الغيار من تجار وبائعين وأصحاب محلات آخرين، ولكن بأسعار مضاعفة، فقلما أصلاً تجد ما تحتاجه، وأحياناً أصنع ذلك بما يتوفر لديّ من إمكانيات وخبرة، ونجحت بطحن القمح والشعير". وعن استمرارية عمله، أفاد بأنه "عند توفر الدقيق في الأسواق أصبح الناس لا يحتاجون الطحن، لكنني لم أتوقف، فقد عملتُ بوسائل أخرى، حيث أقوم حالياً بطحن المعكرونةوتحويلها إلى سميد، وأجريتُ تعديلات على ماكينات أخرى، وقمتُ بتصنيع أنواع معينة منالشيبس".

وعن حجم إقبال الناس، قال إنَّه يوجد إقبال كبير على الطحن، لأنَّ الدقيق لم يكن متوفراً فيالأسواق، فلجأ الناس إلى طحن القمح، الشعير، والأرز، ودخن العصافير، لاستخدامهم فيالعجين لصناعة الخبز، وأضاف أنَّه يأتي إليه الناس من مناطق شمال وادي غزة كافة.

الطحان أبو علاء أثناء طحن الحبوب بأنواعها للمواطنين على ماكينات القهوة. (عدسة: الكاتب)

الخباز

انتشرت هذه المهنة في الحارات ومراكز الإيواء، حيث يقوم أحدهم بخبز "العجين" للمواطنين باستخدام الحطب أو الكرتون أو الدقيق. وتعود هذه المهنة البدائية إلى عشرات السنين في فلسطين، إلا أنَّها اندثرت مع توفر التيار الكهربائي والمخابز وغير ذلك، وعادت مع ما سببته الحرب من تدمير لسبل الحياة ومقوماتها.

يقول الخباز "أبو منصور" (30 عاماً)، من مدينة غزة، متزوج ويعيل أسرة من 5 أفراد، وحاصل على شهادة التوجيهي، وكان يعمل موظفاً حكومياً قبل الحرب: فكّرت في مشروع أقتات منه أنا وأسرتي، فقررت بناء فرن من الطين وخبز العجين لأهالي الحارة، أخبز كل 5 أرغفة ب 0.30 دولار أمريكي. ولدى سؤاله عن الإقبال عليه أخبرنا أنَّه يوجد إقبال على الخبيز عنده، حتى في ظل وجود المخابز، وذلك نظراً لوجود طوابير مصطفة وصعوبة في الحصول على الخبز من المخابز.

ومما لفت الانتباه لدى وجودي عنده أنه لا يقتصر على الخبز، بل إنَّ المواطنين يُحضرون صواني الحلويات والمناقيش ليخبزوها عنده.

وقال إنَّه يستخدم الحطب في إشعال النار صباحاً ونظراً لارتفاع ثمنه، وأستخدم الطحين المسوس في الخبيز، نظراً لرخص ثمنه، وأنَّه يشتريه من الزبائن والجيران بحوالي 1.5 دولار للكيس الواحد.وحول قيمة أجرته اليومية أفاد بأنه يعمل مع شخصين آخرين ويتقاضى كل منهم حوالي 3 دولارات يومياً، وأضاف ساعدتنا على البقاء وإعالة عائلاتنا في ظل الظروف التي نعيش،وبخاصة غلاء الأسعار

مواطن يقوم بخبز العجين للمواطنين. (عدسة: الكاتب)

بائعوا حلويات الحرب: العوامة والحلب ،السمسمية

يعتبر تصنيع وبيع حلويات العوامة والحلب والسمسمية، من المهن التي كانت موجودة قبل الحرب، ولم تكن مرغوبة لدى كثير من المواطنين، فقلما تجد محلاً صغيراً يبيع هذا النوع من الحلويات، إلاأنَّه خلال الحرب لاقت انتشاراً واسعاً وكبيراً، وأصبحت شاهداً من شواهد الحرب، وذلك لسهولة تصنيعها وتوفر مكوناتها ورخص ثمنها مقارنة بأنواع الحلويات الأخرى إنْ وجدت أصلاً، وما ميَّزها، أيضاً، احتواؤها على السكريات، وامتلأت بها الطرقات والبسطات.

بائع البذور والاشتال الزراعية

انتشرت هذه المهنة على الطرقات والأسواق، ويقوم أصحابها ببيع الحبوب والأشتال الزراعية، وقد لاقت هذه المهنة انتشاراً بسبب انقطاع الخضروات والفواكه من الأسواق، حيث اضطر المواطنون إلى الزراعة المنزلية والذاتية للاستخدام الذاتي أو لبيعها في الأسواق.

التقيت محمد الريفي (31 عاماً)، متزوج ويعيل أسرة من سبعة أفراد، جزء من عائلته في جنوب القطاع والباقي في شمال القطاع، سألته عن سبب ذلك أجاب، أنَّه تقطعت بهم السبل خلال الاجتياحات المتكررة ونزح بعض أفراد العائلة إلى جنوب القطاع، و"أنا بقيت مع باقي العائلة في الشمال ننزح من مكان إلى آخر، وحالياً أنا نازح في بيت أقارب لنا، حيث لا نستطيع الذهاب إلى منزلنا ولا نعرف عنه شيئاً".

وعن ظروف النزوح قال: أتعس ما في الحرب هو النزوح فلم أرَ بعض أفراد أسرتي منذ أشهرطويلة سوى أحياناً نتواصل عبر الجوال إن سمحت لنا شبكة الاتصالات بذلك. وتابع: نحن نعاني في كل شيء، نعاني في جلب المياه، نعاني في شحن الجوالات والبطاريات، نعاني من ضيق المكان حيث كلنا نتكدس في مكان لا يتجاوز 80 متراً مربعاً وعددنا 20 شخصاً.

وحول مهنته، قال إنَّه يبيع بذور الزراعة، حيث يوجد إقبال شديد من المواطنين عليها نتيجة لتجريف الأراضي الزراعية، وانقطاع الخضروات من الأسواق. وعن كيفية جلب البضاعة قال: أشتريها من بعض التجار، لكننا نواجه احتكاراً منهم، وإخفاء للبضائع لرفع أسعارها، حيث كنا قبل الحرب نشتري الكيلو بـ 10 دولارات، واليوم نشتريه ب 200 دولار، وأحياناً لا نجده. وعن مصدر هذه البضائع، أجاب: إنّ جزءاً منها موجود قبل الحرب، وهناك جزء يتم تهريبه مع أصحاب الشاحنات.

محمد الريفي يبيع بذور الزراعة أمام بسطته في وسط سوق فراس المدمر. (عدسة: الكاتب)

الزراعة الذاتية والمنزلية

في ظل الحرب وتدمير القطاع الزراعي وتجريف الأراضي والمزروعات، لجأ المواطنون ممن لديهم خبرات زراعية بزراعة ما يتوفر لديهم من مساحات صغيرة حول بيوتهم، أو على الأرصفة وجوانب الطريق، وحصادها وبيعها في الأسواق بأسعار مرتفعة. ومن المزروعات: الجرادة، والبقدونس،والباذنجان، والخيار، والجرجير.

مواطن نازح من جباليا يزرع بعض الأشتال أمام مكان نزوحه غرب غزة لبيعها في الأسواق لإعالة أسرته (عدسة: الكاتب)

جمع البلاستيك والأقمشة البالية

يقوم مجموعة من الأشخاص بجمع البلاستيك والأقمشة البالية من أماكن تكدس القمامة، والمفترقات والطرقات، وبيعها إلى "صانعي المحروقات".

عربة كارو تحمل أقمشة بالية لبيعها لصانعي المحروقات. (عدسة: الكاتب)

بائعوا المحروقات الصناعية

في ظل منع إدخال أنواع المحروقات كافة إلى قطاع غزة، لجأ المواطنون من ذوي الخبرة إلى تصنيع البنزين والسولار بشكل بدائي وأصبح يطلق عليه "البنزين الصناعي" أو "السولار الصناعي"، ويتم استخراجه بطرق بدائية من البلاستيك أو القماش البالي، وضغطه وتنقيته على درجات حرارة معينة وبيعه في الأسواق، ويتم بيعه إلى أصحاب المصانع لمولدات الكهرباء وسائقي السيارات، أو للاستخدام المنزلي لبوابير الكاز.

بسطة تبيع سولار صناعي مستخرج من البلاستيك والقماش، يستخدم كبديل عن السولار العادي.

تعبئة غاز مثبت الشعر

في ظل منع الغاز المنزلي، لجأ الغزيّون إلى شراء عبوات "إسبريه مثبت الشعر" و"إسبريه العطور" واستخدامه بديلاً للغاز المنزلي، وذلك باستخدام معدات بسيطة بتفريغه في أنبوبة الغاز واستخدامه للطهي، بمقابل مادي قدره واحد دولار أمريكي للعلبة الواحدة. تقول المواطنة "أم القاسم" (28 عاماً) التي كانت تُعبئ حينها هذا الغاز: أشتري هذا الغاز لاستخدامه لعمل ببرونة الحليب لطفلتي الرضيعة، حيث إنني أخشى تسخين الماء على مواقد النار التي يُستخدم فيها الحطب والبلاستيك خوفاً على صحة طفلتي الرضيعة، فأشتري علبة مثبت الشعر بحوالي 6 دولارات أمريكية، علماً أنّها ليست ذات جدوى، فكمية الغاز فيها قليلة جداً ولا تكاد تكفي، ولا أستطيع الشراء لارتفاع ثمنها.

تفريغ علب مثبت الشعر في أنابيب الغاز لاستخدامه بديل للغاز المنزلي. (عدسة: الكاتب)

صيانة القداحات

برزت هذه المهنة في ظل منع إدخال مستلزمات الحياة كافة إلى القطاع، ومن ضمنها الولاعات، حيث يقوم أحد المواطنين ممن لديه خبرة في ذلك، بإصلاح الولاعات بمقابل مادي بسيط.

وكلاء التجار

ظهرت هذه المهنة في ظل غياب التجار ووكلاء السلع والمستوردين، فلجأ أصحاب الصناعات إلى توكيل بعض الوكلاء لشراء وجمع سلع معينة من الأسواق وأصحاب البسطات. مثلاً، أصحاب محلات الحلويات يُوكّلون أشخاصاً لجمع وشراء السكر والسمن من الأسواق، وأصحاب بعض الصناعات يُوكِّلون أشخاصاً لجمع وشراء زيت القلي "السيرج" من الأسواق لتشغيل المولدات الكهربائية. الوكيل رياض محمد (37 عاماً)، بكالوريوس اجتماعيات، من مدينة غزة وكيل أحد أصحاب المصانع في شراء "زيت القلي"، الذي كان يعمل مدير مدرسة إعدادية قبل الحرب، أفاد بأنَّه يعمل حالياً وكيلاً لأحد أصحاب المصانع في شراء زيت القلي من الأسواق، وذلك من خلال الاتفاق بينهما على ربح معين على كل لتر زيت يحضره له لشرائه، ويتراوح ربحه على اللتر الواحدمن 0.5-1 دولار أمريكي، ويحصّل 1-2 دولار يومياً، ونظراً للتقلبات في الأسعار، أحياناً أتعرض لخسارة فأشتري بثمن، ويصبح السعر بثمن أقل.

وعن طرق حصوله على السلع، قال: أشتري من التجار والباعة ومستلمي المساعدات، وأحياناً أجد صعوبة بالغة في ذلك نظراً لاتفاق الباعة فيما بينهم على سعر محدد، وخضوع الأسعار بشكل عام لأهوائهم.

وأضاف أنَّ عمله غير ثابت، حيث ينقطع أحياناً عن العمل بسبب النزوح المتكرر، "فنحن مثلاً نزحنا 8 مرات من بيتنا، وتركنا كل ما نملك، وأحياناً تفسد بعض البضائع التي اشتريتها بسبب سوء التخزين أو غير ذلك".

صانع الخيام

يقوم من لديه الخبرة بصناعة خيام للنازحين في مخيمات النزوح بمقابل مادي يتراوح من 50-100 دولار أمريكي للخيمة والواحدة، وذلك حسب مساحة الخيمة ونوعيتها.

صانعوا مواقد الطبخ

أصبح سكان قطاع غزة يعتمدون بشكل كامل على الطبخ على النار، وقد مر ذلك بمراحل عدة، وقد بدأ بـ"كانون الفحم"، ومن ثم تطور إلى "تنكات السمن" وتحويلها إلى مواقد للطبخ مع إجراء بعض الأعمال الإضافية عليها من قبل "الحدادين"، ثم تطور الأمر إلى تصنيع "مواقد هوائية"،تعمل من خلال إشعال البلاستيك، وبخاصة الناتج عن "خزانات المياه" التي تعرضت في غالبيتها إلى تدمير وتخريب نتيجة للقصف المباشر أو تطاير الشظايا، من خلال تركيب مروحة صغيرة-مروحة جهاز كمبيوتر- وربطها مع بطارية صغيرة قدرة 18 أمبير، وقد أحيت هذه المواقد مهناً متعددة، منها "مهنة الحِدادة"، وأصبح للمواقد صناع وبائعون، ويتراوح سعر الموقدة الواحدة من(50-100) دولار أمريكي.

محمد اللوح (40 عاماً)، من مدينة غزة، أب لسبعة أفراد، يقول: بدأت بصناعة المواقد العادية من الكوانين وتنكات السمن، والطناجر العادية، ولكني لمست تضرر الناس من الدخان الناتج عن إشعال الحطب، فتصفحت الإنترنت وبحثت فوجدت فيديوهات صينية تعرض مواقد تعمل بالمراوح في الغابات والتخييم، وعلى سبيل المزاح قال لحسن حظهم وسوء حظنا، فنحن نستخدمها في بيوتنا، وبدأت أصنَع مثلها، ولقد وجدت إقبالاً من الناس عليها، وارتفع الإقبال بشدة لسهولة إشعال النار فيها وعدم وجود دخان. وقد استفسرت منه عن مصدر الأدوات التي يستخدمها في التصنيع؟ فقال: أجمعها من النفايات، حيث تجد التنكات والحديد، وللأسف أي شي أذهب لشرائه يتم رفع سعره من التجار، فيزيد السعر على المواطن. وعن فكرة عملها: أخبرنا أنَّها تتكون من تنكة حديدية، وأضيفت إليها مروحة صغيرة يتم تشغيلها بواسطة بطارية، ويتم وضع البلاستيك فيها وإشعال النيران فيها، وما يميزها عدم وجود دخان.

وحول الحرب والنزوح، قال: لقد استشهد ابني حيث كنا ننزح من المنزل، فوجدنا طبيباً مصاباً ملقى على الأرض، ذهبنا لإنقاذه فتم إطلاق النار علينا من الجيش الإسرائيلي، فأصيب ابني وبعدها استشهد، وحالياً أعيش لدى أقارب لنا في شقة أرضية لا تتجاوز 100 متر مربع، ونعيشيها حوالي 30 فرداً؛ أنا وأسرتي وعوائل أخواتي.

مواقد الطبخ التي تم تصنيعها في غزة. (عدسة: الكاتب)

المواصلات العمومية

نتيجة لمنع إدخال المحروقات بأنواعها كافة، توقفت السيارات والمواصلات بشكل عام، فلجأ المواطنون في القطاع إلى عربات الكارو التي تجرها الحيوانات مثل الحمير والخيول لتدبير شؤونهم وقضاء حوائجهم، فأصبحت من المهن المنتشرة بشكل كبير في القطاع، وازداد الطلب عليها، وبالتالي ارتفعت أسعار المواصلات عبرها، ولجأ الفلسطينيون إلى استخدام بدائل المحروقات مثل السولار الصناعي والبنزين الصناعي، إضافة إلى استخدام زيت القلي "السيرج" للسيارات التي تعمل على " السولار"، ما أدى إلى ارتفاع باهظ في أسعاره، ونظراً لتوفره، وإن كان بكميات شحيحة، فإنَّ ذلك حفز أصحاب باصات النقل الداخلي والخارجي على العمل كمواصلات عمومية.

باصات تجارية تعمل في النقل العمومي لتوصيل المواطنين.

نقل النازحين

تقوم هذه المهنة على نقل النازحين من شمال القطاع إلى جنوبه، أو داخل مناطق المحافظة الواحدة، لكنها تتسم بالخطورة الشديدة نظراً لقربها من قوات الجيش الإسرائيلي، ومرورها بالمفترقات الخطرة، وتعتبر من أغلى المهن، حيث تتراوح قيمة النقل من الشمال إلى الجنوب حوالي 150-250 دولاراً أمريكياً، وتتنوع وسيلة النقل إما بالمركبات وإما بعربات الكارو.

تسخين المياه

برزت وتركزت في مراكز الإيواء والنزوح، حيث يقوم أحد المواطنين بتسخين المياه على الحطب، وبيعها للمواطنين الآخرين بمقابل مادي يتراوح من 3-5 دولارات أمريكية على حسب عدد اللترات،ودرجة التسخين.

لف العجلة

برزت هذه المهنة في ظل انقطاع الكهرباء، وحاجة المواطنين إلى حياكة ملابسهم، حيث يقوم"الخياط" بتركيب عجلة دراجة هوائية على ماكينة الخياطة، ويُشغِّل أحد العمال وغالباً ما يكون من الأطفال للقيام بلف العجلة، وبالتالي تعمل الماكنة، وأحياناً يقوم الزبون نفسه بلف العجلة.

الطفل أحمد (13 عاماً)، من مدينة غزة، نازح من شمال القطاع، بسبب قصف بيتهم، ويعيش حالياً في مدرسة تأوي النازحين، أشار إلى أنَّه لم يذهب إلى المدرسة بسبب الحرب، وأنَّه لكي يساعد في إعالة أسرته اضطر للعمل لدى أحد الخياطين، حيث قال: أعمل على لف العجلة لتتم حياكة الملابس.

وقال الخياط هاني (43 عاماً) أنَّه تم قصف وتدمير محله القديم في سوق السروجيه خلال الأشهر الأولى من الحرب، واضطر إلى استئجار محل مجاور له مالكه نازح في جنوب القطاع، ولعدم توفر الكهرباء وارتفاع أسعار الطاقة الشمسية البديلة، اضطر إلى تركيب العجلة التي تقوم مقام الكهرباء في حياكة الملابس. وأضاف أنَّه يجد صعوبة في حياكة الجلد لأنه لا تستطيع العجلة تحريك الماكنة. وعن الأجر المادي قال: أحصل تقريباً على حوالي 4-5 دولارات يومياً، وهي بالمناسبة لا تكفي في ظل غلاء الأسعار الفاحش.

وعن تجربة النزوح قال: إنها أصعب ما في الحرب، نزحنا من بيتنا 5 مرات، وفي مرات لم نخرج وصممنا على البقاء، حيث لم نجد مأوى نذهب إليه، فقررنا الصمود في البيت مهما حدث، وأضاف صعب أن تكون عالة على غيرك، حتى لو كانوا أهلك أو أقاربك، ناهيك عن أنك تترك بيتك وتبتعد عن عملك وتترك رزقك وتعيش عاطلاً عن العمل.

وعن تجارب النزوح، قال: خرجنا يوماً قبل المغرب، كأهوال يوم القيامة، لم نأخذ شيئاً معنا سوى شنطة لكل فرد، ذهبنا أنا وعائلتي إلى بيت أقارب لنا كان فيه أقارب آخرون لنا، تكدسنا حوالي 50 فرداً في شقة لا تتجاوز 100 متر مربع، كل شيء كان صعباً؛ سواء الأكل، أو قضاء الحاجة،أو النوم.

طفل يقوم بلف العجلة لتشغيل ماكينة الخياطة للتغلب على انقطاع الكهرباء. (عدسة: الكاتب)

بسطات النيكوتين

امتلأت بها المفترقات والشوارع الرئيسة، وقد برزت نتيجة انقطاع الدخان والمعسل، فلجأ المواطنون إلى بيع "النيكوتين"؛ سواء نيكوتين الدخان أو المعسل، واللافت في ذلك أنَّه ونظراً لارتفاع سعره،فإنَّه يباع بـ "الملميتر" حيث يضع البائع بجانبه "سرنجة" أو "مَحقَنَة" للتعبئة.

الشاب سالم (24 عاماً)، من مدينة غزة، أعزب، صاحب بسطة بيع نيكوتين، أوضح أنَّه كان سابقاً يعمل سائق أجرة، ومع عدم توفر الوقود في الأسواق تعطل عمله، ولجأ إلى فتح بسطة بيع سجائر وشيشة لتحصيل الرزق.

سألته عن سبب ارتفاع الأسعار: قال شهدت الأسعار ارتفاعات عديدة خلال الحرب، ولكن حالياً(تشرين الثاني/نوفمبر 2024) قد اختفى من الأسواق، وأصبح يتم تصنيعها محلياً من خلال بعض الخبراء، وذلك بإضافة مواد معينة مثل (الجلسرين، البروبين، النيكوتين، مبيد الحشرات،النكهة) بعيارات معينة وبيعه بالملميتر الواحد نظراً للندرة وارتفاع أسعار مواد التصنيع.

وأوضح أنه قبل الحرب، لم يمر عليه أنَّه اشترى بـ "المليميتر الواحد"، بل كان يُباع علبة 100 ملم أقل شيء.

وعن مكان حصوله على المواد الخام، قال إنَّه يحصل عليها بصعوبة بالغة، حيث إنها تعتبر من الممنوعات، ويتم تهريبها من الجنوب، أو وتصنيعها محلياً، والمادة الخام تباع بثمن غالٍ جداً،وقلما تجدها أصلاً، حيث إنَّ هناك قلة قليلة ممن تتوفر لديها الإمكانات والخبرات في التصنيع،وقلة أقل ممن تمتلك المواد الخام.

إحدى بسطات بيع النيكوتين بنكهاته المختلفة.
(عدسة: الكاتب)

بيع أكياس التغليف والتبكيت

نظراً لتوقف الشركات والمصانع، اضطرت الشركات إلى بيع أكياس تغليف منتجاتها في الأسواق من خلال بعض الباعة وأصحاب البسطات، لتغليف منتجات وسلع أخرى في ظل انقطاع الأكياس وغلاء ثمنها إن توفرت، فمثلاً يتم تغليف باكيت الشيبس بباكيت مكسرات.

مصاص وشيبس قام البائعون تغليفه بأكياس مكسرات. (عدسة: الكاتب)

لحام البراميل

قيام من لديه الخبرة بترقيع وصيانة براميل تخزين المياه البلاستيكية، التي تعرضت للأضرار نتيجة القصف، ويتم ذلك باستخدام الغاز أو ماكينات اللحام الكهربائية من خلال تسييح قطع بلاستيكية على البراميل وتغطية الثقوب، ويتقاضى اللحام حوالي 30 دولاراً أمريكياً على لحام البراميل الواحد.

النجار العربي التقليدي

تعتبر من أقدم المهن في قطاع غزة، ويقوم رب المهنة على صناعة أيدٍ خشبية لأدوات مثل البلطة،والكريك، والمطرقة (الشاكوش)، ... إلخ، لاستخدامها في أعمال الهدم والبناء وغيره. وقد أحيت الحرب هذه المهنة لأسباب يحدثنا عنها "أبو محمد" (55 عاماً)، من مدينة غزة، الذي قال: بسبب الحرب ازداد إقبال الناس على شراء "البلطة"، وذلك لاستخدامها في تكسير الحطب لاستخدامه في إشعال النار للطبخ وقضاء حوائجهم الأخرى، مع أنَّ الحرب، أيضاً، أوقفت باقي أعمالي من تركيب أيدٍ خشبية لِعِدد البناء نتيجة توقفها عن العمل بسبب الحرب. وعن المواد المستخدمة في العمل، قال إنَّه يواجه غلاء فاحشاً في أسعار الأدوات اللازمة لإتمام عمله. وأضاف: الحرب كلها سوء، لقد أضرتنا وأضرت صناعتنا وأوقفتنا عن العمل أشهراً ونعود الآن مضطرين لإعالة أطفالنا،وقال: نزحت 8 مرات في ظروف صعبة تحت القصف والقذائف، وتنقلت ما بين المدراس، وبيوت أقارب، وحالياً في بيت ابني قريب من مكان عملي، والمكان ضيق، وبالكاد يكفي ابني وأسرته،وحالياً أتواجد به أنا وكل أفراد أسرتنا البالغ عددنا 25 شخصاً في شقة واحدة.

بيع أدوات منزلية

المواطنة "أم كريم" (43 عاماً)، تعيل أسرة من سبعة أفراد، من مدينة غزة، تبيع أدوات منزلية في السوق،أصابني الفضول لأتعرف على قصتها، فسألتها عن سبب عملها فأجابت: لإعالة أسرتي في ظل ظروف الحرب. وتابعت: أنا أول من باع أدوات منزلية في الحرب، ولم أكن أعمل سابقاً، وما اضطرني للعمل هو سوء الظروف الحالية. أما عن مصدر البضاعة التي تبيعها، فقالت: أشتريها من الأسواق، أو أبيع مقتنيات وأغراض لعائلات نازحة في جنوب القطاع كلفني أصحابها ببيعها لهم، فآخذ الربح لي وأرسل السعر الذي اتفقنا عليه لهم ليدبروا به أمورهم هناك. واستفسرت منها، أيضاً، عن تدبير أمورها وقت النزوح، قالت إنَّها تتوقف عن العمل أوقات النزوح. وأضافت: نزحنا من بيتنا 7 مرات، لا نأخذ معنا سوى ملابسنا، ولا نستطيع حمل أي أغراض أخرى، وعن مكان نزوحها أشارت إلى أنها نزحت مرات عدة إلى المدارس في ظروف صعبة وقاسية، تفتقر للآدمية.

الخاتمة

لقد ساهمت هذه المهن والأعمال في بقاء الفلسطينيين على قيد الحياة، وانتشالهم من هوة الموت المحقق، من خلال توفير الحد الأدنى من مصادر الرزق، وسد حاجاتهم الأساسية.
عملت الحرب على إحياء عديد المهن التي شهدت اندثاراً وهجرها الفلسطينيون من عشرات سنين،حتى أنَّه لم يبق من صنّاعها إلا قلة قليلة، ويرجع ذلك إلى حجم وهول ما خلفته وأنتجته الحرب بإعادتهم عقوداً إلى الوراء، وقد كانت ممارسة هذه المهن والأعمال نابعة من الحاجة المُلِحة والاضطرار الشديدين، ومسايرة لظروف الحرب والعدوان، إضافةً إلى سد حاجاتهم ومتطلباتهم للبقاء.
تعتبر البدائية والبساطة من أهم السمات التي تشترك بها مجموعة المهن والأعمال، وامتازت كذلك بأنها ليست بحاجة للخبرة أو للمعدات والآلات، بل تُمارس بمجموعة مكونات بسيطة.

تميزت بعض هذه المهن بالإبداع واستغلال كل ما هو متاح وممكن للبقاء، وأنَّ بعضاً منها لم تُمارس في قطاع غزة سابقاً، بل وفي أماكن أخرى كثيرة تعرضت إلى أزمات وحروب كهذه؛ مثل مهنة شحن الأجهزة والبطاريات، ومهنة التسجيل في روابط المساعدات.
لم تكن هذه المهن دائمة ومستمرة، بل كانت متقطعة ومتغيرة بحكم الظروف التي يعيشها المواطنون؛ بدءاً بالحرب، ومروراً بالقتل والتشريد، وليس انتهاءً بالنزوح المتكرر والمستمر الذي يُعتبر أسوأ ما أنتجته الحرب، حيث عاشوا في ظروف وأماكن تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة الكريمة،ومتطلبات العيش الكريم.

لقد ساهمت هذه المهن في بناء الواقع الاقتصادي الجديد الذي سببته الحرب، وتعتبر مكوناً أساسياً له، ومما يجب الإشارة إليه، أيضاً، أنَّ "اقتصاد البقاء" ومكوناته، يعتبر دعامة أساسية وركناً مهماً من "اقتصاد الحرب"، الذي نما وتطور خلال الحرب على قطاع غزة، ويمكن القول إنَّه أصبح يقوم عليه اقتصاد القطاع اليوم، ومن المتوقع أن يتعمق هذا النوع من الاقتصاد طالما استمرت أسبابه.

إنَّ الواقع الاقتصادي الجديد الذي نشأ في قطاع غزة خلال الحرب سيخلِّف أضراراً سلبية جمَّة، ومخاطر كبيرة على الاقتصاد الفلسطيني على المديين القريب والبعيد.